

في مفهوم الأدب الإسلامي

للدكتور / محمد بن حسن الزبير

الأستاذ المساعد في قسم الأدب

بكلية اللغة العربية بالرياض

وعميد شؤون المكتبات

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :-

فإن وصف الأدب أو الشعر «بالإسلامية» ليس إطلاقاً حديثاً، فقد ظهر منذ عهد قديم جداً، وأريد به عدة معانٍ مختلفة في آثار المؤلفين والدارسين من قدماء ومعاصرين.

مفاهيم مختلفة :-

أطلق مصطلح الأدب الإسلامي ، وأريد به الأدب الصادر عن الشخص المسلم ، بصرف النظر عن طبيعة هذا الأدب ، ومضمونه في ذاته ، سواء أكان أدباً إسلامياً المحتوى في ذاته أم غير إسلامي .

وأطلق مصطلح «الأدب الإسلامي» وأريد به كل أدب فيه ذكر للإسلام ، أو حديث عن الإسلام .

وأطلق وأريد به الأدب الذي يتناول مفهوماً من مفاهيم الإسلام^(١) .

وأطلق وأريد به الأدب أو الشعر الذي جاء بعد الإسلام ، أي ظهر عقب نهاية وقت الجاهلية التاريخية ، ونشأ في ظل البيئة الإسلامية ابتداءً من البعثة النبوية ، وهو إطلاق نجده لدى بعض مؤرخي الأدب العربي ودارسيه ، وهو مصطلح كما هو واضح ينطلق من مفهوم الزمن الذي أنتج فيه هذا الأدب بصرف النظر عن محتواه من ناحية ، أو عن قائله من ناحية أخرى .

(١) انظر : سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج ص ٢٨ ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ /

١٩٨٢ م . وانظر : محمد قطب ، منهج الفن الإسلامي ص ٦ ، بيروت - دار الشروق ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ،

انظر الالتزام في الأدب الإسلامي - د . مصطفى هدارة ص ١ ، بحوث ندوة الأدب الإسلامي ، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٥ هـ .

وهذا الإطلاق الذي يستند على مفهوم تاريخي ، نجده في كتب تاريخ الأدب العربي القديمة والحديثة ، فنحن نجده على سبيل المثال في «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجهمي ، وهو يقسم الشعراء إلى طبقات ، ويصنفهم إلى جاهليين وإسلاميين^(٢). وابن قتيبة في كتاب . . . «الشعر والشعراء» يستخدم هذا المفهوم في وصف الشعراء مثل قوله : «هو خويلد بن خالد ، جاهلي إسلامي»^(٣) وقوله : سويد بن كراع هو من عكل جاهلي إسلامي . . .»^(٤) وقوله : وكان الأغلب جاهليا إسلاميا^(٥).

كما نجد الأمدى ، بعدهما بزمان طويل نسبيا (توفي سنة ٣٧٠هـ) يستخدم هذا المفهوم أيضا في كتابه «المؤتلف والمختلف» فهو يقول : «وهو الأقبيل بن نبهان بن خنف ، إسلامي ، كان في زمن الحجاج . . .»^(٦) «ومنهم أعشى بنى أسد . . . ، جاهلي . . .»^(٧) ويقول : «ومنهم الأغلب بن نباتة الأزدي ثم الدوسي . . . ولم أر له ذكرا في أشعار الأزد ، وأظنه إسلاميا متأخرا . . .»^(٨) ويقول : «ومنهم ابن خدام الأسدي ، وهو مرداس بن خدام ، لا أعرف من أي بطون أسد هو ، إسلامي ، كان ينزل الكوفة . . .»^(٩) ويقول : «منهم هميان بن قحافة ، أحد بنى عوانة بن سعد بن زيد مناة بن تميم . . . ، راجز ، محسن ، إسلامي ، وكان في الدولة الأموية . . .»^(١٠).

(٢) انظر : طبقات فحول الشعراء بتحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني . القاهرة .

(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٢/٦٥٣ ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر .

(٤) المصدر السابق ٢/٦٣٥ .

(٥) المصدر السابق ٢/٦١٣ .

(٦) الأمدى ، المؤلف والمختلف ص ٢٥ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨١-١٩٦١ م .

(٧) المصدر السابق ص ١٧ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٩) المصدر السابق ص ١٥٥ .

(١٠) المصدر السابق ص ٣٠٤ .

وحين نصل إلى كتب تأريخ الأدب العربي الحديثة ، نجد على سبيل المثال لا الحصر ، أن هذا المصطلح يستخدم بهذا المفهوم الزمني ، فقد جاء في كتاب «الموجز في الأدب العربي وتاريخه (الأدب الإسلامي) من وضع لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية ، نجد هذا التوضيح لوصف الشعر بالإسلامية : «نعنى بالشعر الإسلامي جميع الشعر الذى نظم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ثم في عهد خلفاء بني أمية ، وقد نظم بعضه في سبيل الدعوة الإسلامية ، وتأثر البعض بتلك الدعوة نفسها ، أو اصطبغ ببعض تعاليمها . ولا شك في أن هنالك فئة من الشعراء تصرفوا تصرفا خاطئا في حياتهم وفي شعورهم ، وخالفوا بذلك ما دعا إليه الإسلام ، وقد أدرجنا شعرهم في هذا الباب على سبيل التوسع»^(١١) .

وفي كتاب «تاريخ الأدب العربي»^(١٢) لأحمد حسن الزيات ، نجد الفصل الأول بعنوان «الأدب الإسلامي» وذلك في الصفحة الثمانين ، ثم نجد عنوانا آخر يقول : «العوامل المؤثرة في الأدب الإسلامي» وفي الفصل الثانى في الصفحة السادسة والثمانين نجد هذا العنوان : «مصادر الأدب الإسلامي» . .

والزيات في ذلك كله لا يعنى المدلول الحقيقي الذى يفهم من نسبة الأدب إلى الإسلام ، وإنما يعنى بالأدب الإسلامى ، الأدب الذى ظهر بعد بزوغ شمس الإسلام وأقول الجاهلية التاريخية ، ولا أدل على ذلك من أنه جاء في الفصل الرابع يتحدث عن طبقات الشعراء فيذكر تحت عنوان «الشعراء الإسلاميون» في الصفحة الثانية والخمسين بعد المائة ليذكر فيمن يذكر من الشعراء الإسلاميين على حد تعبيره ، عمر بن أبي ربيعة^(١٣) ، والأخطل^(١٤) .

وجميع تلك المفاهيم التى استخدم فيها مصطلح الأدب الإسلامى أو الشعر الإسلامى ، مما مر ذكره ، على اختلاف ما بينها قريبا أو بعدا من حقيقة النسبة

(١١) الموجز في الأدب العربي وتاريخه ص ٩٢ ، دار المعارف لبنان ١٩٦٢ م .

(١٢) تاريخ الأدب العربي الطبعة ٢٥ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة .

(١٣) صفحة ١٥٧ .

(١٤) صفحة ١٦١ .

الإسلامية ، لا تتطابق بحق مع المفهوم الدقيق الذي ينبغي أن يدل عليه تعبير «الأدب الإسلامي» .

ولعل استعمال المصطلح بالمفهوم التاريخي أكثر المفاهيم شيوعاً في الاستعمال ، وأكثرها عدم استقامة مع مفهوم النسبة الإسلامية ، لأن الأدب بعد ظهور الإسلام ، ليس إسلامياً كله ، ففيه آثار أدبية تخالف مخالفة صريحة منهج الإسلام وقيمه ، وتصوره .

فعلى سبيل المثال فيه أدب المهجاء الفاحش ، والغزل الفاضح ، والتغزل بالمذكر ، وفيه الخمریات وما يتصل بها من شعر الليالي الماجنة ، إلى غير ذلك . بل إن بعض الأدباء أنفسهم ليسوا مسلمين كالأخطل الشاعر النصراني وغيره .

إن تلك المفاهيم لاتستقيم مع المفهوم الحقيقي لمصطلح «الأدب الإسلامي» ، كما أنها ذات أثر سلبي ضار في التشويش على المفهوم الصحيح ، لما بينهما من مفارقة في المعنى .

وهي مفارقة تصدم الدارس ، وأذكر أنني حين كنت طالباً في السنة الثانية في كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٣٨٩ ، لفت نظري ذلك الاستخدام الخاطئ لمصطلح الأدب الإسلامي أو الشعر الإسلامي في دلالة على أدب بعضه إسلامي وبعضه غير إسلامي ، وكنت قد اطلعت - قبل ذلك - على تحديد سليم لمفهوم مصطلح «الأدب الإسلامي» في كتاب «في التاريخ فكرة ومنهاج» للأستاذ سيد قطب رحمه الله .

وقد كتب سيد قطب في كتابه السالف^(١٥) مقالة بعنوان «منهج للأدب» رصد فيها خطأ واضحاً في تصوير منهج الأدب الإسلامي ، كما أطلق تعريفاً للأدب الإسلامي قال فيه بأنه : «التعبير الناشئ» عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية^(١٦) وأعتقد أن سيد قطب ومن بعده أخيه محمد قطب ، هما أول من فتح المجال رحباً للبحث في

(١٥) في التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ١١ . دار الشروق وقد نشرته قبل ذلك الدار السعودية - جدة ١٩٦٧ م .

(١٦) المرجع السابق ص ٢٨ .

مفهوم الأدب الإسلامي بشكل صحيح ودقيق ، وهى كلمة لا بد أن تقال للتاريخ الأدبي بالنسبة لمصطلح الأدب الإسلامي بمفهومه النقدي الإسلامي .

وقد دفعنى ذلك إلى المشاركة فى الاهتمام بموضوع الأدب الإسلامي الذى يستمد محتواه من مفهوم التصور الإسلامى ، وضرورة إخلاص هذا المصطلح لهذا المفهوم^(١٧) .

ولا شك فى أن مصطلح «الأدب الإسلامى» ينبغى أن يكون خالص الدلالة على النشاط الأدبي الملتزم بالإسلام فى تصوره عن الله والإنسان والكون والحياة ، بحيث إنه حين نطلق تعبير «الأدب الإسلامى» يكون مفهوماً منه هذا المدلول ، فلا ينصرف مدلوله إلى الأدب الصادر عن المسلم ، أو الأدب الصادر فى عصر إسلامي ، أو الأدب الذى يتحدث عن الإسلام ، أو عن مفهوم من مفاهيمه .

وحين نقول إنه لا يكفي فى تحديد الأدب الإسلامى أن يكون صادراً عن شخص مسلم ، فإن ذلك يعنى أننا نفرق بين الأدب الإسلامى وأدب المسلمين ، وهذا صحيح لأن المسلمين يمكن أن يصدر عنهم أدب إسلامي ، وأدب غير إسلامي ، والأدب نشاط كأي نشاط آخر يصدر عن الإنسان ، والمسلم يصدر عنه نشاطات مختلفة بعضها إسلامي ، وبعضها غير إسلامي ، يصدر عنه فعل صالح ، وفعل غير صالح ، وهو حين يفعل ذلك الخطأ ، لانقول عنه إنه غير مسلم ، إنه يبقى مسلماً ولكنه مخطئ فى الوقت الذى صدر عنه ذلك النشاط ، أو الشعور ، أو العمل الخطأ .

المهم فى الأدب الإسلامى ، أن يكون أدباً وأن يكون إسلامي المحتوى بالمفهوم الشامل الواسع للإسلام .

ومن الطبعي جداً أن يكون هناك أدب إسلامي ، وأن يكون للأدب مكان

(١٧) للباحث دراسات كثيرة فى هذا المجال منها «فصول فى الأدب الإسلامى» وأدب الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين قسم النشر و«نظرات فى الأدب الإسلامى» و«القصص فى الحديث النبوى» والقصة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين .

ومفهوم في الإسلام ، لأن الإسلام قد جاء ليكون نظام الحياة ، كل الحياة في العقيدة والفكر ، وفي العاطفة والشعور ، وفي الواقع والسلوك ، ينظر للإنسان كلاً لا يتجزأ ، تماماً كما هي نظرتة إلى الحياة ، لا تتجزأ ، لقد توجه الإسلام إلى الإنسان بكل طاقاته ، وانفعالاته ، واستعداداته النفسية ، والشعورية ، والفكرية ، وأناط به وظيفة كبرى في هذه الحياة التي منح إياها ، وطلب منه أن يكون إيجابياً في بناء الحياة وعمارتها وفقاً لما أراد الله .

وقد ركب الله تبارك وتعالى - فينا استعدادات معينة لمجالات معينة من الحياة دون غيرها ، نستطيع بها أن نبرز في هذه المجالات أو تلك ، وأن نبذل حين نبذل فيها طاقاتنا الكامنة التي أودعت فينا لتحقيق بها تلك الوظيفة الجليلة .

من تلك الطاقات ، طاقة التعبير الأدبي ، عن انفعالات الضمير بالتجارب الشعورية ، والقيم الحية التي نؤمن بها ، ونتفاعل معها .

وقد رسم الإسلام في منهاجه العام الشامل منهاجاً للتعبير الأدبي فيه شمول المنهاج الإسلامي كله ، وفيه سعته ، وأفسح لهذه الطاقة أن تنطلق للتعبير عن نفس صاحبها وذاته ، عن إحساساته ومشاعره وفكره ، عن تأملاته ، ونظرتة للكون والحياة والأحياء ، عن مشكلاته التي يعانيتها ، وشتى حاجاته في حياته الفردية أو الاجتماعية ، في عالمه الفردي ، أو في محيطه الاجتماعي ، أو في المحيط الإنساني الكبير .

وفي الوقت الذي أفسح الإسلام لهذه الطاقة أن تنطلق ، لم يتركها وحدها في هذه الفسحة العريضة ، تتيه في الطريق معرضة للانحراف والزلل دون معالم للطريق ، ترشدها ، وتسدد مسيرتها ، وإنما اهتم بها ووجهها نحو البناء والارتقاء والصعود نحو الأفق الأعلى ، والرحاب الوضيئة ، وأمدّها بشحنات من القيم النابعة من صميم الحياة ، وقوانين الوجود الأصيلة ، العادلة وأراد لهذه الطاقة - كي تضمن سلامة الوجهة - أن تتكيف من داخل النفس بقيم الإسلام الحقّة العادلة ، التي رصدت في منهاج الإسلام الحق العادل ، الذي أنزله الله ، سبحانه وتعالى ، للبشرية كلها تحياً به ، وتعيش في ظله .

إن ذلك التعبير الفني النابع من صميم قيم الإسلام ووفق طبيعة التصور الإسلامي في شموله وسعته ، وعمقه ، هذا التعبير بهذه المواصفات هو الأدب الإسلامي .

والإسلام وهو يفسح مكانا رحبا للتعبير الأدبي ، إنما يدلنا على أهمية الكلمة الأدبية وأثرها في الحياة ، ذلك أنه لم تبلغ أية وسيلة فنية للتعبير عن الحياة ، والتأثير فيها ما بلغته لغة التعبير بالكلمة من القوة والعمق في التأثير .

أهمية الكلمة الأدبية :

إن الكلمة وهي وسيلة العمل الأدبي ، تملك طاقة هائلة من الإيجابية الفاعلة في عناصر الحياة الإنسانية ، وكم كانت الكلمة وراء أحداث هائلة ضخمة ، أدارت دفتها ، وسيرتها في اتجاهات معينة ، وللكلمة من سحر التأثير ، وقوة الأسر ما تشهد له وقائع الحياة ، وأسفار التاريخ ، ذلك أن الكلمة تستمد قوتها الحيوية من الحياة نفسها ، من صميم القلوب النابضة بالحياة ، معتمدة في أكثر حالاتها أوفى كلها ، على الرصيد الضخم من العواطف الحارة ، والتجارب المتعددة ، والانفعالات المتنوعة ، التي هي ثمرات الحياة الإنسانية وما تحفل به من قيم ومثل وتصورات .

والأدب وهو سلاح ينبع من صميم حياة الناس ، ويخاطب قلوبهم ومواطن الشعور فيهم من ناحية ، كما يخاطب ملكاتهم العقلية من ناحية أخرى ، يملك قوة كبيرة ، يمكن أن تصوغ واقعا معينا للناس وأن توجههم نحو سلوك طريق ما ، وأن تجعل منهم مجتمعا يعيش وفق منهج معين .

ولقد استفادت الإنسانية ، طوال حياتها في ظل اللغة المستندة على عنصر الكلمة ، استفادت من استخدام تلك القوة الهائلة ذات الحدين من حيث خدمتها لمختلف الاتجاهات والتيارات .

ومن هنا نفهم أن الأدب قوة بناء وهدم ، بناء للخير والمثل الكريمة في المجتمع ، والدعوة إلى الحق والخير والفضيلة والجمال والترويج لكل ذلك بين معاشر الأحياء من

الناس ، وبناء للجانب القوى فى النفس الإنسانية ، ورفعها نحو الأفق الأعلى والرحاب الوضيئة فى طريق الإبداع والتعمير ، والإشادة بالجوانب الخيرة التى تربط فئات المجتمع الإنسانى .

الأدب بناء للحرية والكرامة والاستعلاء فى نفوس الفئات المستضعفة ، التى ترزح تحت أوهاق الظلم والطغيان والاستبداد . . وهو قوة هدم للجوانب الضعيفة فى الحياة من الحقد والكراهية والبغضاء والتناحر والتنافر ، وهدم لكل وسائل التخلف والاستعباد ، وتقويض لشتى المثبطات التى يمكن أن تعترض طريق المناضلين والمكافحين فى سبيل الحق والعدل والسلام ، هدم لكل ما تشيده أيدى الباطل من عقابيل ومعوقات ، وما تنشره فى طريق الحق من شكوك وشبهات . .

نعم ، الأدب قوة بناء وهدم ، بناء للخير وهدم للشر ، حين يكون فى اليد الأمانة المؤمنة ، يد الأمة التى تكون : «خير أمة أخرجت للناس»^(١٨) ذلك أنها تعد نفسها للناس ، «أخرجت للناس» فهى تعمل لمصلحة الناس ، وما يصلح شؤونهم من حق وخير وعدل وحرية وسلام . . .

أما حين تكون قوة الأدب فى اليد التى تفقد الأمانة ، ولا يهملها من أمر الناس والحياة إلا ما يخدم مصلحتها الذاتية ، ويوافق أهواءها ، ويحقق مطامعها ورغباتها ، وحين تكون قوة الأدب فى الأيدي الحائرة القلقة المضطربة ، التى تتقاذفها مشكلات العصر وتخبطاته المختلفة ، التى يفرزها الواقع المادى ، حين يكون الأدب فى هذه الأيدي ، فإنه يحتفظ بقوته أيضا ، قوة البناء والهدم ، ولكنها قوة تسير فى اتجاه معاكس لاتجاه القوة الأولى ، فهى هنا قوة بناء للشر ، وتثبيت لدعائم الخيرة والقلق والاضطراب ، وإذكاء لشتى الصراعات والتطاحنات الطبقية ، وإثارة الأحقاد والكراهية بين طبقات الناس ، وبناء للجوانب الضعيفة فى الإنسان من هبوط وأنانية وتشاؤم وبغض وإحاد . .

(١٨) آل عمران : ١١٠ .

وهي قوة هدم لارتفاع الإنسان ومحاولته تحقيق حياة مستقرة مؤمنة تجدد في رحاب الله الأمن ، والهدوء والطمأنينة . .

قوة هدم للحق والعدالة ، ومشاعر الكرامة ، ومقاومة الاستعمار بكل أشكاله ، والاستغلال بكل مظاهره .

قوة هدم لكل المبادئ والمثل ، ومكامن قوة الإنسان ، كى يبقى ضعيفا مستكينا لأعدائه ، فلا يقوى على الوقوف على أقدامه فضلا عن المقاومة والصمود . .

ولهذا . . ولما كان للأدب هذه القوة ، وهذا التأثير ، وهذه الأهمية كان له في ميزان الإسلام حساب ، وكان له في منهجه الشامل منهج واضح بين ، وقد وجه الإسلام المسلمين إلى ذلك المنهج اهتماما منه بالأدب نفسه وبأثره الفاعل في الحياة .

في منهج الأدب الإسلامى :

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ ۝۱۹﴾

ونلاحظ هنا في هذه الآية الكريمة ، أن القرآن ما ذم الشعر لذاته وما تنزل من شأنه ، لأن الشعر والفن في ذاته ليس - في الإسلام - مذموما ولا مكروها ، وإنما هو وسيلة لغوية كما تستخدم في الخير وتسخر من أجله ، فإنها يمكن أن تستخدم في الشر وتسخر من أجله . وإنما المذموم هم الأدباء الذين يتصف أدبهم بصفات معينة ، والآية هنا تتعرض لنموذج منهم وهم الشعراء الذين يستعملون وسيلة الشعر ، ولنتأمل في أن الآية الكريمة تعرضت للشعراء مباشرة وتحدثت عنهم بصفاتهم ،

ولم تتعرض للشعر من حيث هو شعر ، فالشاعر هو الذي يستخدم الوسيلة ، وهو الذي يسلك بها الطريق الذي يريد وفق منهج يسير عليه ويرتضيه ويريده .

فآلية الكريمة هنا إنما تدم وتحارب المنهج الخاطئ ، منهج الغواية والضلال ، الذى يسير فيه الشعراء ، وفي الوقت نفسه ترسم المنهج السديد الذى يجب أن يسار على ضوئه .

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - فى كلامه عند هذه الآية الكريمة فى كتابه «فى ظلال القرآن»: لا ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته - كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ - وإنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن ، منهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المهومة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها . فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام ، وتنضح بتأثراتها الإسلامية شعرا وفنا ، وتعمل فى الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة فى دنيا الواقع ، ولا تكتفى بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا ..

وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام ، فى ضوء الإسلام ، ثم تعبر عن هذا كله شعرا وفنا . فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن ، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ . ولقد وجه القرآن القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون وإلى خفايا النفس البشرية ، وهذه وتلك هى مادة الشعر والفن .

وفى القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط فى الشفافية والنفاذ ، والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال ، ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء : «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا» فهؤلاء ليسوا داخلين فى ذلك الوصف العام . هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة ، واستقامت حياتهم على منهج ، وعملوا الصالحات ، فاتجهت طاقاتهم إلى العمل الخير الجميل ، ولم يكتفوا بالتصورات

والأحلام ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقاتهم ليصلوا إلى نصره الحق الذي اعتنقوه^(٢٠) .

وإذن فالمؤمنون لهم أدب ، وفي الإسلام مكان واضح للأدب وفق منهج معين ، ينبثق عن الحقيقة الكبرى التي يقوم عليها الإسلام كله ، ينبثق عن التصور الإسلامي الشامل عن الله والإنسان والكون والحياة . .

وحيث يقال : إن الأدب إنما هو تعبير موحٍ عن القيم التي ينفعل بها ضمير الفنان^(٢١) وأنه لا يمكن فصل تلك القيم عن كونها نابعة من تصور معين للحياة والإنسان ، والارتباطات والعلاقات بينها ، ندرك إلى أي مدى يؤثر التصور في الأثر أو الإنتاج الأدبي والفني . والتصور لدى أي أديب أو فنان عن الكون والحياة سيترك ظله واضحا على إنتاجه ، وليس من الممكن أن ينفصل في تعبيره عن تصوره ذلك ، إنه سيعبر عن قيم تعيش في نفسه ، وتعمل في فكره ، وينفعل بها وجدانه . .

وتلك القيم إنما هي انبثاق طبيعي لما لدى الأديب من تصور ، وفكر ، وانفعال ، وموقف ، أي أنها انبثاق من التجربة .

ومن هنا يكون منهج الأدب الإسلامي جزءاً من تجربة الأديب نفسه ، ما دام أنه منهج ينبع من تصور يعيش به المسلم ، ومن هنا تكون تجربة الأدب الإسلامي ، تجربة غير محدودة ، وإنما هي تجربة ذات آفاق واسعة وبعيدة المدى في اتجاهات ومجالات متنوعة ومختلفة وهو اتساع يأتي من اتساع التصور الإسلامي نفسه ، الذي ترتبط به التجربة الأدبية الإسلامية ، ذلك أن التصور الإسلامي يشمل كل دقائق الكون لا يغادر منها شيئاً يقع في محيطه ، سواء منها ما تدركه الحواس وما لا تدركه ، وما يدركه العقل بوعيه وما تدركه الروح فيها وراء الوعي ، ويشمل كل نشاط الإنسان وكل طاقاته ، سواء نشاطه المادي ، ونشاطه الروحي ، وسواء حياته الاقتصادية

(٢٠) في ظلال القرآن ٦/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، بيروت دار احياء التراث العربي الطبعة السابقة ١٣٩١/ ١٩٧١ .

(٢١) انظر : سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهج ص ١١ والنقد الأدبي أصوله ومفاهيمه ص ٧-٩ وانظر محمد

قطب ، منهج الفن الإسلامي دار الشروق ، ط الثالثة ١٤٠٠/ ١٩٨٠ . بيروت .

والاجتماعية والفكرية ، وسواء عمله في الحياة الدنيا ، وفيما وراء هذه الحياة^(٢٢) .

ومن هذا التصور الإسلامي الشامل الواضح يستمد الأدب الإسلامي منهجه ، وعلى ضوءه يتخذ طريقه في الحياة عطاء وفيضا ، فلا يتيه الأديب المسلم ولا يضل ولا يشقى ، فهو ينطلق في تعبير مؤمن عن تجارب تتكيف في ذاته من الداخل وفقا لما يمتزج بروحه من روح الإسلام ، وما يستثيره عقله من هديه ، فيصدر عنه أدبه وفقا لمنهجه الذي ارتضاه هو نفسه لحياته كلها ، وكيف لا يكون الأمر كذلك ونشاطه الأدبي إنما هو جزء من نشاطاته الأخرى التي يزاوها أو يمارسها في هذه الحياة في ظل الإسلام .

وهكذا يكون للأدب الإسلامي منهج متميز فريد ، وهو منهج لا يأتي من الخارج ليفرض نفسه على الأديب ، لكنه كما أسلفنا ينبع من ذاته ، لأنه : مسلم قبل أن يكون أديبا ، فهو يشعر من خلال إيمانه ، وينفعل بقيم قد تكيفت بها نفسه ، وانصاغت في حسه وروحه ، حين يعبر عن ذلك الشعور وفقا لتصوره عن هذه الحياة ، فيأتي تعبيره ظلا لتجربته الإسلامية بمعناها الواسع العميق . .

صدى التصور في الأدب :-

وحينما نقول : إن الأدب الإسلامي إنما هو تعبير في عن التجربة من خلال التصور الإسلامي ، إنما ننطلق من أن الأدب إنما هو تعبير عن تجربة ما من خلال تصور ما لصاحب التجربة .

فالتصور المسبق لدى الأديب عن الحياة والكون يتردد صدها في نسيج تجربته الأدبية ولا بد ، مهما كان نوع هذه التجربة . وحين نلقي نظرة على سبيل المثال على الأساطير الإغريقية ، والأدب اليوناني نجد صورة حية ، يتجسد فيها التصور الأغريقي للحياة والكون ، فالآلهة في ذلك الأدب إنما هم نوع من البشر لهم قدرات فائقة ، وأصحاب نزوات شيطانية ، ويجتهدون في حجب أسرار الحياة عن البشر ، والآلهة تعاقب «بروميسيوس» الذي عطف على البشر فسرق لهم النار ، وتعاقب معه أيضا

(٢٢) محمد قطب ، منهج الفن الإسلامي ص ٢٢ .

جميع البشر ، حيث أرسلت إليهم صندوقا يحمل أنواع الشرور المدمرة ، لأن النار سر من أسرار الكون لا يحق للبشر أن يعرفوه .

إنه تصور يخلف في النفوس الحيرة والقلق والاضطراب ، تصور تقف فيه الآلهة من الإنسان والحياة موقف العناد والحقد والكراهية والصراع^(٢٣) .

وعمر الخيام كان له تصور معين للحياة ، ومن هذا التصور انبثقت إيقاعاته وقيمه ، في نفسه وفي الحياة كلها .

كان يتصور الكون حجابا مستورا وتيها معمى ، لا يعرف فيه الإنسان من أين أتى ؟ ولماذا جاء ولا متى وأين يذهب :

لبست ثوب العمر لم أستشر ... وحررت فيه بين شتى الفكر

وسوف أنضوه برغمي ولم ... أدرك لماذا جئت أين المفر

أفريت عمري في اكتناه القضاء ... وكشف ما يحجبه الخفاء

فلم أجد أسرارته وانقضى ... عمري وأحسست ديب الفناء

وهذه القيم النابعة من هذا التصور تأثر شعر الخيام ، وتراءت له الحياة ، من

خلال تلك القيم ، غيبا مجهولا لا تستحق أن يتهم بها الإنسان ، ولا أن يعنى من

أمرها شيئا ، يقول :

أفق وصب الخمر أنعم بها ... واكشف خبايا النفس من حجبها

ورو أوصالى بها مثلما ... يصاغ دن الخمر من ترها

سأنتحى الموت حثيث الورود ... وينمحي اسمى من سجل الخلود

هات اسقنيها ياسنا خاطرى ... فغاية الأيام طول الهجود

حيرة لا حد لها ، وظلام دامس لانور فيه ، ولا بصيص أمل أوتفاؤل . ذلك هو

الوجود الذي يعيشه الخيام - من خلال هذا النص الشعري - في ظل تصوره الذى

يبعث الأسى عليه ، وعلى روحه المعذبة التائهة ..

(٢٣) انظر : محمد قطب : منهج الفن الإسلامى ص ٣٠ وما بعدها .

ولا شك في أن الخيام لو اختلف تصويره للحياة - كما يقول سيد قطب - لكان له منها موقف آخر في حسه واتجاهه ، لو تصور أنه نفخة من روح الله ، وأنه خليفة الله في أرضه ، لكانت نظرته للحياة ذات لون وقيم أخرى ، ذلك أن كل تصور ينشأ عنه ولا بد قيم معينة لها أثرها في الإحساس والاتجاه سواء شعر بذلك أصحاب هذا التصور أم لم يشعروا . . .^(٢٤)

ومن هنا تأتي أهمية التصور في الأدب ، كما تتجلى أيضا أهمية سلامة التصور لدى الأديب ، وصحة نظرته إلى الحياة وشموله لجوانبها المختلفة . . .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول : إن الأدب النابع من التصور الإسلامي هو الأدب الصحيح التصور ، ذلك أن التصور الإسلامي هو التصور الذي يشع منه الضوء فيشمل الكون والإنسان والحياة وخالقها ، ويعين العلاقات ووشائج القربى بين وحدات الوجود .

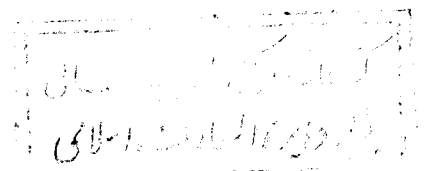
فالله تبارك وتعالى هو الخالق المالك المتصرف في هذا الوجود ، وما فيه ومن فيه ، بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ، هو المحيي المميت ، وهو الرازق المانع ، وهو الحكيم الخبير ، وهو الغفور الرحيم ، وهو الحنان المنان ، سبحانه .

والإنسان ، في هذا التصور ، خليفة في أرض الله^(٢٥) ، استعمره فيها ، وشرفه بوظيفة العبادة وفق منهج شامل ، أنزله إليه ، وأعطاه من أجل ذلك الطاقات والإمكانات الهائلة ، بحيث يستطيع أن يحقق الاستخلاف كما يجب ، ويقوم بالعبادة في أسمى وأشمل معانيها . . .

والكون هذا الشاسع الواسع ، هذه الآفاق البعيدة التي لا ندري مداها ، هذه الكواكب والنجوم ، هذه السماء الزاخرة ، وهذه الأرض العامرة ، كل ذلك مسخر بأمر الله من أجل هذا الإنسان المستخلف ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(٢٤) انظر : سيد قطب : في التاريخ فكرة ومنهاج ص ١٢ وما بعدها .

(٢٥) انظر : البقرة ، الآيات (٣١-٣٣) .



الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴿٢٦﴾

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وَالَّذِي
نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا ۖ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۖ لَّتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿٢٧﴾

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا نَفْثٌ
الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لَتَركَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ

(٢٦) الجاثية : ١٣ .

(٢٧) الزخرف : ١٠-١٣ .

(٢٨) النحل : ٨٥ .

بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١١﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
 مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿١١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
 سَخَّرَ الْبَحْرَ لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
 مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٤﴾
 وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
 لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾

﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٣٠﴾

والحياة بما فيها من مخلوقات ، وأسرار ، بما فيها من مظاهر وأشكال ، بما فيها من
 سنن وقوانين هي من صنع الله الواحد القادر القاهر ، الذي له الحكم المطلق ، والأمر
 النافذ دون سواه . .

(٢٩) النحل : ١٠-١٥ .

(٣٠) الاسراء : ٧٠ .

في تعريف الأدب الإسلامي :

بعد أن تحدثنا فيما مضى عن الأدب الإسلامي ومنهجه بعامة ، لعله من المناسب أن نرصد حركة مصطلح «الأدب الإسلامي» من الناحية التاريخية من حيث استخدامه بهذا المفهوم من خلال محاولات تعريف الأدب الإسلامي .

وعند البحث نجد أن سيد قطب ، رحمه الله ، ربما كان أول من تصدى للبحث في مجال الأدب الإسلامي من الناحية النقدية^(٣١) ، التنظيرية ، ولعله أول من عرف الأدب الإسلامي حينما قال : «وليس الأدب الإسلامي هو وحده الذي يتحدث عن الإسلام أو عن حقيقة من تاريخه أو عن شخص من أشخاصه ، إنما هو : التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية وكفى»^(٣٢) .

والمقصود هنا بالتعبير هو التعبير الفني أو التعبير الأدبي كما هو واضح من السياق . ويقول أيضا : «الأدب أو الفن الإسلامي أدب أو فن موجه ، بطبيعة التصور الإسلامي للحياة وارتباطات الكائن البشري فيها . وموجه بطبيعة الفكرة الإسلامية ذاتها وهي طبيعة حركية دافعة للإنشاء والإبداع ، وللترقى والارتفاع»^(٣٣) .

وعرفه محمد قطب في كتابه : «منهج الفن الإسلامي» بأنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان»^(٣٤) ، وفي محاضرة لمحمد قطب ، ألقاها ضمن نشاط النادي الأدبي بالرياض^(٣٥) . عن «مفهوم الأدب الإسلامي» عرفه بأنه .

(٣١) أشار الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - في كتابه (نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد) جامعة الإمام . . كلية اللغة العربية ، الرياض ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٩٥ إلى أن فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي كان أول من كتب في موضوع الأدب الإسلامي وذلك حين اختير عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق .

(٣٢) سيد قطب في التاريخ فكرة ومنهاج ص ٢٨ .

(٣٣) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٣٤) محمد قطب ، منهج الفن الإسلامي ص (٦) .

(٣٥) مساء الثلاثاء الموافق ١٤٠٩/٤/٦ هـ بمركز الخزامى .

«الأدب الذي يستمد من التصور الإسلامي مفهومه عن الله والكون والحياة والإنسان وعلاقاتها بعضها ببعض» .

والملاحظ هنا أن العناصر الأساسية في هذه التعريفات للأدب الإسلامي عند الأخوين سيد ومحمد قطب تركز على عنصرين أساسيين هما :

الأول : «الأدبية أو الفنية» والثاني من عناصر التعريف : هو انبثاق العمل الأدبي من التصور الإسلامي بمفهومه الشامل .

وقد سارت جميع التعريفات التي أتت فيما بعد على هذا المفهوم ، ولا تكاد تخرج عنه إلا في بعض الألفاظ^(٣٦) .

وبعد ظهور تعريف سيد قطب ومحمد قطب أخرج الدكتور نجيب الكيلاني كتابه : «الإسلامية والمذاهب الأدبية» وأشار في مقدمته إلى ما أسماه محاولة سيد قطب لتعريف الأدب الإسلامي ، ثم ذكر أن محمد قطب أخرج كتابه «منهج الفن الإسلامي» وأنه سار على نهج التعريف الذي وضعه شقيقه سيد قطب^(٣٧) ، ثم ذكر بأنه يتفق في كثير من وجهات النظر مع المفهوم الذي حدده^(٣٨) ، ثم قال في موضع آخر^(٣٩) : وعرفه كتاب «منهج الفن الإسلامي» . «بأنه تعبير فني عن الكون والإنسان والحياة والطبيعة من خلال تصورات إسلامية» فإننا بدورنا لاننكر دور الصياغة الفنية ، والتجربة البشرية تاريخية كانت أو أسطورية ، فردية أو جماعية ، ولا ننكر أن الأدب نقد وجبيرة للحياة ونلتزم أيضا بالتصورات الإسلامية ، وبالنور الإلهي الذي يكشف الطريق الصحيح أمام أعلامنا وأفكارنا وسلوكنا العملي ، والذي يقودنا إلى الحق والخير والجمال» . .

(٣٦) انظر : صالح آدم بيلو ، من قضايا الأدب الإسلامي ص ٥٧ ، جدة - دار المنارة للنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

(٣٧) انظر نجيب الكيلاني ، الإسلام والمذاهب الأدبية ص ٦ . بيروت - مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

(٣٨) المرجع السابق ص ٩ .

(٣٩) المرجع السابق ص ٧ .

والحق أن الدكتور نجيب الكيلاني واصل اهتمامه بالأدب الإسلامي وتابع نشاطه في مجاله من خلال العديد من المؤلفات والمشاركة في المؤتمرات التي تعقد من أجل مناقشة قضاياها ، ومن ذلك كتابه «مدخل إلى الأدب الإسلامي» وفي هذا الكتاب أعطى تحديدا لهذا الأدب حينما قال :-

«ذلك هو مفهومنا الشامل للأدب الإسلامي :-

تعبير فني جميل مؤثر . نابع من ذات مؤمنة . مترجم عن الحياة والإنسان والكون . وفق الأسس العقائدية للمسلم . وباعت للمتعة والمنفعة . ومحرك للوجدان والفكر . ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما^(٤٠) .

ومن عرف الأدب الإسلامي أيضا عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني الذي ذكر في محاضرة له ألقاها بجامعة أم القرى في ٢٦/٦/١٤٠٧هـ بعنوان :-

«قضايا حول الشعر العربي والأدب الإسلامي»^(٤١) ذكر أنه في البحث الذي قدمه للندوة العالمية للأدب الإسلامي التي انعقدت في دار العلوم لندوة العلماء بلكهنو من الهند خلال الأيام من ١١ إلى ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠١هـ ، عرف الأدب الإسلامي بأنه : هو التعبير بأي فن من فنون الكلام الجميل المؤثر بشرط أن يكون ذا مضمون لا يتنافى مع : ما أمر به الإسلام ، أو نهى عنه ، أو أذن به .

وقد عرف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، رحمه الله ، الأدب الإسلامي بقوله : «هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته ، ولا يجافى القيم الإسلامية»^(٤٢) .

(٤٠) نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، ص ٣٦ كتاب الأمة ١٤٠١هـ مطابع الدوحة الحديثة ، قطر ١٤٠٧هـ .

(٤١) راجع كتاب : نحو أدب إسلامي (محاضرات ألقيت في جامعة أم القرى ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

(٤٢) عبد الرحمن الباشا ، نحو قصة إسلامية ، مجلة كلية اللغة العربية العدد (١٢) ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . وانظر مجلة البعث الإسلامي الهندية العدد ١ ، ٢ رمضان وشوال ١٤٠١هـ . وأيضا أورد التعريف في كتابه «نحو مذهب

ومحمد حسن بريغش يقول في هذا المجال محددًا مفهوم الأدب الإسلامي :
«والأدب الإسلامي جزء من الحياة الإسلامية ، وينبعث عن التصور الأصيل ذاته ،
وهو التصور الذي حدده لنا كتاب الله وسنة رسوله ، ويسير في حدوده وضمن
شرعه»^(٤٣) .

كما حاول د . علي مصطفى أن يشارك في بيان حقيقة الأدب الإسلامي
بقوله :-

هي التجربة الشعورية التي تتبع من الوجدان والخواطر المفعمة بالقيم الإسلامية
في بناء فني يعتمد على وسائل التأثير والإقناع : من الألفاظ الفصيحة ، والأسلوب
البليغ ، والنظم الدقيق والتصوير المحكم بالخيال والعقل معا والاتساق في الإيقاع
المتدفق بأشكاله المتعددة ، سواء أكان وزنا وإيقاعا في الشعر ، أو نموا وتطورا في
الأحداث كالقصة والأقصوصة ، أو قصرًا في العبارات والجمل كأنواع المقالة الأدبية .
وبهذا المفهوم تتحدد معالم الأدب الإسلامي وأسسها . . . »^(٤٤) .

ويقول الدكتور محمد مصطفى هدارة ، معرِّفا الأدب الإسلامي ، بأنه : «الأدب
الذي يعبر عن النظرية الإسلامية الشاملة للكون والوجود فلا يتصادم معها أو يخالفها
في أية جزئية من جزئياتها وذائقاتها»^(٤٥)
والدكتور مصطفى عليان يحدد مفهوم الإسلامية في الأدب بقوله : «إن الإسلامية

إسلامي في الأدب والنقد ص ١٩٢ ١٩٠ ، وكان الباشا رحمه الله يطلق على ما نعينه بالأدب الإسلامي قبل ذلك
يطلق عليه أدب الدعوة الإسلامية ، وهو الاسم الذي اختاره ليطلقه على سلسلة البحوث التي يكلف بها طلاب
في كلية اللغة العربية منذ عام ١٣٩٠ هـ ، حيث لم يكن بعد قد تبنى مصطلح الأدب الإسلامي وفي رأبي أنه
كان الأولى أن يطلق عليها موسوعة الأدب الإسلامي ، لأن هذا اللفظ يحمل المعنى الشامل والواضح لما يراد .
(٤٣) محمد حسن بريغش ، المفهوم الإسلامي المتميز للأدب ص ٣ (بحوث ندوة الأدب الإسلامي) كلية اللغة
العربية بالرياض ١٤٠٤ هـ / ١٤٠٥ هـ .

(٤٤) د . علي مصطفى نظرية الأدب الإسلامي ص ٤ ، ٥ ، (بحوث ندوة الأدب الإسلامي) كلية اللغة
العربية ، الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٤٠٥ هـ .

(٤٥) د . مصطفى هدارة ، الالتزام في الأدب الإسلامي ص ١ (بحوث ندوة الأدب الإسلامي ، كلية اللغة العربية
بالرياض ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـ .

في الأدب تصور فكري في تعبير أدبي ، لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وإنما نلمسها في التميز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التعبير عن صدى القيم في النفس تعبيراً حيويًا منبثقًا من التصور الإسلامي ، فهي تتعدى ما يلوح في ظاهر النص إلى ما يحول في داخله من فكر وإحساس وتصور ، وما يعرف فيه من إحياء بمواقف إسلامية»^(٤٦).

وحين انعقد المؤتمر العام الأول لرابطة الأدب الإسلامي بلقهنو بالهند عام ١٤٠٦ هـ انتهى إلى تعريف الأدب الإسلامي بأنه : «التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون والإنسان ، وفق الكتاب والسنة»^(٤٧).

كما عرف الدكتور عماد الدين خليل الأدب الإسلامي بأنه : «تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود» وستكون التجربة الإسلامية المبنية عن التصور الإسلامي مندرجة ضمناً في سياق هذا التعريف»^(٤٨).

وأما الدكتور عبد الباسط بدر ، أحد أعضاء رابطة الأدب الإسلامي فيقول في تحديد هذا الأدب : فيقصد بمصطلح «الأدب الإسلامي» كل عمل أدبي يحمل شعوراً أو فكرة أو قضية إسلامية^(٤٩).

والملاحظ أن جميع هذه التعريفات عند التأمل ، وعندما نستبعد ما فيها من تكرار وشرح واختلاف في الألفاظ ندرك أنها تبدو منطلقة من المفهوم الذي سبق أن حددته بدقة وإيجاز الأخوان قطب .

فالتعريفات كلها تركز على العنصرين الأساسيين في تحديد المفهوم الإسلامي وهما

(٤٦) د . مصطفى عليان ، مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ص ١٢ ، دار المنارة للنشر ، جدة ط ١ .

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٤٧) النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي ص ٩٦ مكتب الرابطة - لقهنو - الهند ط ١ ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م .

(٤٨) د . عماد الدين خليل ، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ص ٦٩ ، مؤسسة الرسالة ط ١٠ بيروت ،

١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٤٩) د . عبد الباسط بدر ، دليل مكتبة الأدب الإسلامي ببلوغرافيا ص ١ ، الطبعة التمهيدية ، ربيع الأول

١٤٠٨ هـ .

الفنية من جهة والاستمداد من التصور الإسلامي الشامل من جهة أخرى .

رأي في معنى الإسلامية في الأدب الإسلامي :-

هناك مسألة ينبغي عدم تجاهلها عند الحديث عن مفهوم الأدب الإسلامي .
وتحديد الأدب الإسلامي يركز على ناحيتين هما : فنية العمل من ناحية . وإسلامية
العمل الفني من ناحية أخرى .
وهذه «الإسلامية» يمكن أن نركز مدلولها في إسلامية مضمون العمل الأدبي
وإسلامية إيجاءاته .

وهنا نصل إلى المسألة التي ينبغي أن يشار إليها في هذا المقام ، وهي مسألة ذات
علاقة بمسألة إسلامية العمل الأدبي .

إنها علاقة العمل الأدبي بقائله فإذا قلنا إن العمل الأدبي الإسلامي : هو التعبير
الفني عن المضمون الإسلامي ، فهل يعنى هذا بالضرورة أن منشئ هذا الأدب
شخص مسلم بصورة رسمية بمعنى أنه أحد المتمين إلى جماعة المسلمين ، أو يعنى
أنه مسلم ملتزم بالإسلام عقيدة في الفكر ومنهجاً في السلوك ؟ .

هناك من يرى أن الأدب الإسلامي هو ذلك الأدب وفق التحديد الذي سبق
(إيضاحه) الصادر عن أحد المسلمين ، بصرف النظر عن التزامه الفكري
أو السكولوجي من الناحية الشخصية ما دام أن العمل (وهو نشاط لغوي له تجربته
المستقلة المستقره في ذات التعبير اللغوي) .

وهناك من يرى أن ذلك الأدب وفق (التحديد الذي سبق إيضاحه) والصادر عن
أحد المسلمين الملتزمين بالإسلام فكراً وسلوكاً .

والأستاذ محمد قطب يتوسع نوعاً ما فيدخل في نماذج الفن أو الأدب الإسلامي كل
نموذج توافق مع النماذج الإسلامية وإن كان صاحبه غير مسلم ، كما فعل في كتابه
منهج الفن الإسلامي .

ويبدو لي في هذه المسألة رأي آخر ، أرجو أن أكون مصيباً فيه ، ينظر إلى المسألة

من زاوية تستند إلى مفهوم معين للإسلامية نفسها ، بحيث أستطيع أن أتجاوز فيما يتصل بمثل هذه النماذج التعبير عنها بأنها تدخل في النماذج الإسلامية أو تلحق بها إلى القول بأنها إسلامية (ما دام أنها ذات مضمون إسلامي) . .

وهو رأى يعبر- ينبغي بطبيعة الحال - عن وجهة نظر خاصة ، ذلك أن الأدب الإسلامي ينبغي أن يفهم من خلال عنصري التحديد الأساسيين فقط ، دون اعتداد بأية عناصر أخرى خارجية عن العمل الأدبي نفسه ، فالعبرة هي في القول نفسه ، منظوراً إليه من ناحيتين يجب أن تحققاً فيه : الأولى : أدبية العمل وفنيته . والثانية : إسلامية محتواه . .

ولا ينبغي أن أتوقف هنا ، بعد هذا ، لأسأل هل قائله أحد المسلمين ؟ أو هل قائله أحد المسلمين الملتزمين ، من الناحية الشخصية ، بالإسلام فكراً وسلوكاً ، أو فكراً دون سلوك إسلامي ؟ أو هو شخص من غير المسلمين ، ينبغي ألا نتوقف عند هذه المسائل في نظرتنا الإسلامية في العمل الأدبي نفسه ، لأننا هنا نتعامل مع اللغة من خلال نص العمل الأدبي وما ينطوي عليه من معنى .

وما دام أن هذا النص الأدبي يحمل المعنى الإسلامي بمفهومه الشامل عن الله والإنسان والوجود والحياة دون انحراف أو شائبة ما ، فهو الأدب الإسلامي .

وقد يتساءل ، أحد المتسائلين ، كيف يمكن أن يصدر أدب إسلامي عن شخص غير مسلم ؟ قد نقبل أن يكون هناك أدب إسلامي يصدر عن مسلم غير ملتزم بالإسلام سلوكاً ، أما أن يكون هناك أدب إسلامي يصدر عن غير المسلمين فلا .

وهذا التساؤل مصدره أحد شيئين أو كلاهما معاً ، الأول : هو مسألة الربط بين العمل الأدبي وقائله (عند النظر في مفهوم الأدب الإسلامي) . والثاني : قَصْرُ الشعور بالتجربة الإسلامية ، والتعبير عنها على أفراد المسلمين .

وهما سببان ، يجب التخلي عنهما من منطلقين أساسيين ، أحدهما موضوعي والآخر إسلامي موضوعي في الوقت نفسه .

أما المنطلق الموضوعي الأول ، فهو متصل بما سبقت الإشارة إليه من استقلالية النص اللغوي بع أن تحرر من قائله وأصبح خارج الذات ، ولم يعد يربطه بقائله شيء ، ما عدا حق التأليف القانوني .

النص هنا أصبح كيانا ماديا مستقلا متمثلا في سياقه اللغوي المكتمل ، ولم يعد للمؤلف أي سيطرة على النص أو تأثير فيه .

وإذا كان يمكن لأحدهما (النص والقائل) أن يحكم به على الآخر ، فإنه النص نفسه ، فقد يدان القائل بقوله ، أو يحكم به عليه ولا عكس .

أما المنطلق الإسلامي ، فهو مبني على نظرة الإسلام نفسها ، من حيث قيام هذه النظرة على إمكان أن يعيش الإنسان تجربة إسلامية في مستوى ما من مستوياتها ، من خلال نظرة هذه التجربة إلى العلاقات بين وحدات الكون أو عناصر الحياة ، أو تفاعل هذه العلاقات ، أو الانفعال بعنصر من عناصر الحياة المختلفة ، وفق الرؤية النابعة من الإسلام ، سواء على مستوى الفرد الواحد ، أو الأفراد مع بعضهم أو الأفراد مع وحدة أخرى من وحدات الكون أو عناصر الحياة .

إن وجود مثل هذه التجربة عند غير المسلمين ، أمر ممكن جدا ، بل لعله الأصل ، لأن الأصل في الإنسان أنه مفلطح على فطرة الإسلام «كل مولود يولد على الفطرة» ، هذا مبدأ أصيل في العقيدة الإسلامية ، وهذه الفطرة هي الإسلام .

بل إن الأصل في نظر الإسلام أن وحدات الكون كلها ، وليس الإنسان وحده ، وحدات مؤمنة تحس بأصل انتمائها ، على اختلاف أنواعها ، إلى منشأ واحد ، منشأ فيه أن وحدة الخلق من وحدة الخالق تبارك وتعالى ، وفيه أيضا وحدة الهدف وهو

(٥٠) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى عليه وسلم قال : كل مولود يولد على الفطرة . . والحديث رواه البخارى ١٢٥/٢ ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ وانظر البخارى ١١٨/٢ . وانظر مسلم ٢٠٤٨٤ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، عيس البابلي الحلبي وشركاه ط (١) ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، وفي سنن الدارمي ٢٩٢/٢ : . . كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا أصبح قال أصبحنا على فطرة الإسلام . . الحديث مطبعة الاعتدال بدمشق ، ١٣٤٩ هـ .

العبودية لله الخالق ، يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ^(٥١) ﴾

ويقول تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(٥٢) ﴾

ويقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغْ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٥٣) ﴾

ومن هنا يمكن أن توجد تجربة إسلامية في أعمال أدبية لغير المسلمين ، كما يمكن أن تكون هذه التجربة (في إسلاميتها) نابعة من أصل الفطرة المسلمة التي ينطوي عليها الإنسان ، بحيث إن كل خير يصدر عن الإنسان بشكل عام ، سواء أكان هذا الخير في سلوكه أم في قوله ، إنما هو صدور عن أصل الخير فيه . وأن التجربة غير المتلائمة مع هذا الخير بمفهومه الشامل ، حين تصدر عن الإنسان فهي التجربة غير الأصل الغالب فيه .

من هذا المنطلق الواضح ، ومن هذا المبدأ الإسلامي الثابت ، نستطيع أن ننظر إلى الأعمال الأدبية المشتملة على هذه التجربة الإسلامية على أنها أعمال أدبية إسلامية ، ولا أكتفى بأن أنظر إليها على أساس أنها مجرد نماذج تدخل في حكم النماذج الإسلامية .

إن هذه النماذج بصورها عن الإنسان تحمل الشرعية في أن تكون نماذج إسلامية ، وبهذا تتسع دائرة مفهوم الأدب الإسلامي في الزمان والمكان والتجربة .

الأدب الإسلامي والأدب العربي :

لعله من المناسب في ختام هذا الحديث في مفهوم الأدب الإسلامي أن نتعرض لمسألة من المسائل التي تثار بين الحين والآخر وهي علاقة الأدب الإسلامي بالأدب العربي ، وكثيرا ما يطرح سؤال مثل : هل الأدب العربي غير إسلامي ، أو هل الأدب العربي غير الأدب الإسلامي ؟ .

(٥١) الاسراء : ٤٤٠ . (٥٢) الصف : ١ وأنظر : الجمعة : والتغابن : ١ . (٥٣) النور : ٤١ .

والحقيقة أن بين الأدب الإسلامي والأدب العربي علاقة التقاء أحيانا . . وعلاقة افتراق أحيانا أخرى . . كما أن بينهما أيضا علاقة عموم وخصوص من وجه .

فأما علاقة الالتقاء بينهما فهي تبدو في أن كثيرا من الأدب العربي هو من قبيل الأدب الإسلامي ، لأنه أدب عربي اللغة جاء معبرا عن التصور الإسلامي ولأن اللغة العربية هي لغة الأدب الإسلامي الأولى والأساس ، فهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولغة العبادة والإسلام ، ولكن ليس كل أدب عربي أدبا إسلاميا لأننا نجد بعض هذا الأدب العربي اللغة يأتي معبرا عن تصورات أو مفاهيم غير إسلامية ومن هنا لا نستطيع أن نعد هذا اللون من الأدب العربي أدبا إسلاميا بصرف النظر عن أن منشئ هذا الأدب شخص مسلم ، لأننا هنا نحكم على الأدب لا على الأديب .

أما علاقة العموم والخصوص الوجهي فهي تبدو في أن الأدب الإسلامي أعم من الأدب العربي من حيث إنه أدب يشمل الأدب المعبر عن المفهوم الإسلامي سواء قيل باللغة العربية أم بأي لغة من لغات الشعوب الإسلامية المختلفة ، بينما يقتصر الأدب العربي على ما كان باللغة العربية فحسب .

كما أن الأدب العربي أعم من الأدب الإسلامي ، حيث إنه يشمل كل أدب باللغة العربية سواء منه ما كان نابعا من تصور إسلامي أو من تصورات ومفاهيم أخرى طالما أنه أدب يجعل من اللغة العربية أداة له .

ومن هنا يتضح لنا أن هناك فرقا بينا الأدب الإسلامي والأدب العربي وأن أحدهما لا يغني عن الآخر في المصطلح العلمي ، فلكل من المصطلحين دلالة الخاصة ومفهومه المحدد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ، ،



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی